الإمام الآلوسي وموقفه من التفسير العلمي

Muhajirul Fadhli
Ushuluddin and Islamic Filsafat UIN Ar-Raniry

ABSTRACT

There are many scientific problems that had not been solved by scientists in such a long period of time. But after a deep study the scientists managed to find surprisingly all scientific matters are stated in the Qur'an. So this disputes the notion that Islam is against science and technology. An in-depth study of scientific verses is increasingly encouraged that emerges tafsir al-ilmiy. However, this effort did not escape the pros and cons among the Ulama for various reasons. But in essence the Qur'an is universal in which the verses never expire so Qur'an able to dialogue with every generation through out the ages.

ABSTRAK

Dalam kurun waktu yang lama banyak permasalahan ilmu pengetahuan yang belum dapat dipecahkan oleh para ilmuan, namun setelah dikaji lebih mendalam mereka berhasil menemukannya, dan yang mengejutkan ternyata al-Qur'an telah dahulu berbicara tentang itu. Sehingga hal ini membantah anggapan bahwa Islam anti terhadap ilmu pengetahuan dan tekhnologi. Kajian mendalam terhadap ayat-ayat ilmiah semakin digalakkan sehingga muncullah al-tafsir al ilmiy. Namun usaha ini tidak luput dari pro kontra di kalangan para ulama dengan berbagai alasan yang dikemukakan. Namun pada hakikatnya al-Qur'an bersifat universal yang mana ayat-ayatnya tidak pernah kadaluarsa sehingga mampu berdialog dengan setiap generasi sepanjang zaman.

تمهيد :

لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي حثت على طلب العلم، ومن قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمون والَّذين لا يعلمون إِنَّمَا يتذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر:9) وقوله تعالى:(..وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: ٧). والقرآن كتاب الله الخالد المعجز فإن العلماء وجدوا فيه سائر العلوم التي لا غنى للإنسان عنها. ولأنه كتاب الله الذي قال الله فيه: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨). وقد صرح الدكتور عصام العبد زهد في كتابه إعجاز القرآن الكريم بأن **الإعجاز العلمي** في القرآن س في اشتماله على النظريات علمية التي تتجدد بمرور الزمن أو بالإشارات العلمية. **وإنما** في دعوته الصريحة للعلم وحثه

على النظر والتدبر في كل ما يزيد العلم والإيمان في النفوس[1]. ولهذا اهتم بعض المفسرين سير العلمي، منهم الإمام الآلوسي الذي شرح لنا بعض آيات علمية في كتاب الله من خلال تفسيره المشهور روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

نبذة من حياة الإمام الآلوسي :

كان فريد عصره، ونسيج وحده، هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء من أهل البغداد مولداً ونشأةً ووفاةً[2]. ينتهي نسب الإمام سي وأسرته إلى الإمام الحسين ﷺ، فهو حسيني الأسرة، وأسرته مشهورة معروفة بالعراق. وينسب الإمام إلى آلوس بلدة في العراق فيقال الآلوسي، بالمد والقصر، وأهلها طقونها بالمد فيقولون آلوس، وهو اسم رجل سميت به بلدة على ناحية الفرات، وقد فر يها أجداده من هولاكو وسكنوا بها ونسبوا إليها[3]. ويكنى أبو الثناء، أو أبو عبد الله الالوسي، ويلقب شهاب الدين[4].

ولد الإمام الآلوسي في يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان سنة 1217م، وذلك بجانب الكرخ ببغداد[5]. وفي هذه الأسرة الكريمة نشأ الإمام الآلوسي، ونسب إليها وترعرع فيها حتى صار ذلك العلم الفريد، والعالم ذائع الصيت. نشأ في بيت علم وأدب، وكان

[1] إعجاز القرآن الكريم د. عصام العبد زهد ص ٩٠-91 ط1، 1427ه – 2007 م.

[2] الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٨٠،ج 7ص176.

[3] فتوح البلدان للبلاذري (246/1) مكتبة الهلال، بيروت 1983م، معجم المطبوعات، يوسف ألبان سرسك، مكتبة مرعشي، القاهرة 1928م. والكرخ : هو أحد قسمي مدينة بغداد على الجانب الغربي لنهر دجلة. ويوجد فيه العديد من المناطق الحيوية للعاصمة العراقية ومنها المنصور والكاظمية والصالحية وشارع حيفا والعامرية. وقال الياقوت الحموي: الكرخ: بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وما أظنها عربيّة إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع، وكلّها بالعراق، وأنا أرتب ما أضفت إليه على حروف المعجم حسب ما فعلناه في مواضع. ينظر: معجم البلدان (4/ 447).

[4] الأعلام للزركلي، (8/53) معجم المؤلفين (815/30)، روح المعاني (3/1).

[5] أعيان القرن الثالث عشر، ص: 167، فتوح البلدان، البلازري (494/4).

والده مدرس العلوم ببغداد وفقيه الحنفية وإمام الشافعية، فربى ولده على حفظ القرآن، فحفظه وأخذ منه الأدب والبلاغة والحديث.[6]

وهو على عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان أسلافه على مذهب الإمام الشافعي في الفقه مع نبوغه في مذهب الإمام أبي حنيفة حتى صار إماماً للمذهب، مفتياً للحنفية سنة 1248هـ. وقد أخذ الطريقة الصوفية النقشبندية على الشيخ أبي البهاء خالد النقشبندي.[7] وترك الإمام الآلوسي ثروة علمية ضخمة غير التفسير منها الأدب، واللغة، والتراجم، والتصوف والأخلاق.[8]

نبذة من تفسيره:

ن ألفّ في جميع ضروب العلم، تاقت همته ودعته صدق نيته للخوض في مجال التفسير، كر قصة تأليفه في مقدمة تفسيره أنه رأى فى بعض ليالى الجمعة من شهر رجب سنة 1252 هـ، ان الله جَلّ شانه أمره بطى السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء، وخفض الأخرى إلى مستقر الماء، ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى فى بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه فى الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة، وذلك فى عهد السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان، وذكر فى خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة 1267 ه، ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر

[6] هداية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (652/1)، طبع استانبول وكالة المعارف 1951م، معجم المؤلفين، مصدر سابق/815.

[7] التفسير والمفسرون للذهبي (352/1)، مناهل العرفان للزرقاوي (84/1)، التفسير ورجاله لابن عاشور، ص: 136.

[8] الدر المنتقر، ص: 29 وما بعدها، الأعلام للزركلي (176/7)، أريج الند والعود في ترجمة ابي عبد الله، نخبة من تلاميذه، ص: 28، معجم المطبوعات، مصدر سابق 4/1. الدر المنتثر، علي علاء الدين الآلوسي، ص: 30، منهج الآلوسي في التفسير، الطيب أحمد، ص: 28، معجم المطبوعات (4/1) وما بعدها، الأعلام للزركلي (176/7).

على وزير الوزراء علىّ رضا باشا. فسمَّاه على الفور: "روح المعانى، فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى[9].

وأما منهجه في تصنيف الكتاب أنه قد اختط لنفسه منهجاً فريدا، يجاوز بين ما معروفاً عند علماء التفسير السابقين، ويلحقه بالعصر الذي هو فيه، مع تناول أحكام القران والقراءات، إيراد الاحاديث الصحيحة، خلوه من الإسرائيليات، إيراد الشواهد الشعرية، استعمال صنوف اللغة العربية، ربط السور السابقة واللاحقة، استعمال لتفسير بالرأي (الإشارة)، إيراد بعض الآيات الكونية.[10]

مرضه وفاتـه:

بعد أن ملأ الدنيا علماً والمدارس درساً، والمساجد وعظاً والمكتبات كتباً، وبعد أن أطبقت شهرته بلاد الدنيا، فصار مرجعاً في العلوم كلها. مرض الآلوسي بالحمى والتي عاودته بعد أن شفي منها، حتى تمكنت منه مرة أخرى، وأبلت جسده، فتوفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة سبعين ومئتين وألف (1270هـ) بعد أن صلى الظهر إماماً، وغسله طلابه، وشيعه أهل بغداد، ودفن في جنازة مهيبة لم تعرفها بغداد من قبل، ووري جثمانه الثرى في مقبرة الشيخ معروف الكرخي[11]. بالكرخ في بغداد، ولم يتجاوز عمره الخمسين إلا قليلا، وقبره الآن مشهور يزار.[12]

تعريف التفسير العلمي:

قبل أن نخوض في هذا النوع من التفسير نود تعريفه. **التفسير العلمي هو:** ر آيات القرآن التي تتحدث عن العلوم الكونية بما يستنبط من علومها، وبيقينيات

[9] روح المعاني للآلوسي (3/1)، مناهل العرفان للزرقاني (61/2), التفسير والمفسرون (1/ 252).

[10] منهج الألوسي في التفسير، مصدر سابق، ص20 وص86 وما بعده.، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، ص: 12، مطبعة وهبة، القاهرة، مصر.

[11] معروف الكرخي، أحد الأعلام الزهاد المتصوفة، ولد في كرخ بغداد وتوفى سنة 200هـ، الأعلام للزركلي (185/8).

[12] أعيان القرن الثالث عشر، ص: 51، معجم المطبوعات (3/1).

المكتشفات العلمية بشروط."[13] وللعلماء مواقف متباينة من التفسير العلمي ما بين مؤيديه ومعارضيه ولكل طائفة دليل وبيان.

أولا: أدلة المؤيدين:

1. ما قاله الإمام الغزالي نقلا عن بعض العلماء (إن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة اهر وباطن وحد ومطلع، ثم يروي عن عبد الله بن مسعود قوله: "من أراد علم ولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها."[14] والإمام الغزالي من العلماء الذين أيدوا التفسير العلمي.
2. قاله الإمام الرازي وهو يرد على أحد المعترضين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه:
   أ. لله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية احوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.
   ب. قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) (ق:6) ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها.
   ج. قوله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (غافر: 57)
   د. إنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال (...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا...) (آل عمران: ١٩١)

[13] التفسير ومناهج المفسرين د. جمال محمود الهوبي، د. عصام العبد زهد ص ٢٠٦ مطبعة المقداد- غزة –ط ٢،١٤١٩ ه- 1999 م.

[14] إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي ج: ١ ص ٢٨٩ دار المعرفة بيروت.

ولو كان ذلك ممنوعاً لما أمر به.[15] **وهناك** الكثير ممن أيدوا التفسير العلمي سواء من القدامى أو المحدثين.[16]

ثانيا: أدلة المعارضين: ومن العلماء المعارضين للتفسير العلمي للقرآن الإمام الشاطبي.[17] ومن هذه الأدلة:

1. لم يتحدث فيه أحد من السلف الصالح سواء من الصحابة أو التابعين ومن بعدهم من القرون الخيرية الأولى.
2. ا يسمى بالنظريات العلمية غير ثابت وينقض الجديد منه القديم ولإنزالها **على القران يقتضي التناقض.**
3. إن من يسير في هذا الطريق يحمل الألفاظ فوق ما تحتمله من معنى.[18]

الضوابط العلمية المنهجية للإعجاز العلمي :

1. إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد أولا وليس **كتاب علوم وكونيات.**

---

[15] انظر: مفاتيح الغيب للرازي ج: ١٤ ص ٩٩

[16] للاستزادة انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، أ. سناء فضل عباس ص ٢٥٨- 271، الأردن- عمان-١٤١٢ ه- ١٩٩١ م، وانظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ج: ٢ ص ٥٥١ – 559. الرياض - ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦ م.

[17] هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية، من كتبه في أصول الفقه) و (المجالس) و (الإفادات والإشادات) و (الاتفاق في علم الاشتقاق) و (أصول النحو) و (الاعتصام) وغيرها توفي ٧٩٠ ه - ١٣٨٨ . انظر: الأعلام ج: ١ ص ٧٥. هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية، من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و) و (الإفادات والإشادات) و (الاتفاق في علم الاشتقاق) و (أصول النحو) و (الاعتصام) وغيرها توفي ٧٩٠ ه - ١٣٨٨ . انظر: الأعلام ج: ١ ص ٧٥.

[18] وانظر :الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق :أبو عبيدة مشهور آل سلمان ج :٢ ص ١٢٧-129، دار ابن عفان ط1، 1417-1997م-

،وانظر التفسير والمفسرون ج :٢ ص 356-358، وانظر :اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د .الرومي، ص 559-562، وانظر :إعجاز القرآن الكريم د .فضل عباس، أ .سناء عباس ص ٢٥٤- 257، وانظر :التفسير ومناهج المفسرين د . عصام زهد، ود .جمال الهويي .ص ٢١٠.

2. تكون هناك علاقة توافق وترابط بين ظاهر الآيات لفظ الآية ومعناه العربي، وبين الحقيقة العلمية

المكتشفة، ودليل ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ الآية) (الإسراء: ٣٦)

3. عدم الإفراط والتفريط لدى النظر في الآيات الكونية.

4. الاكتفاء بالحقائق العلمية في الاستدلال وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية.

5. عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة، بل إبقاء الآية مفتوحة الدلالة بحيث تحتمل كل ما يتفق معها.

6. اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.

7. اتـ المنهج القرآني في طلب المعرفة بالنظر في الآيات الربانية في الكون وفي النفس والافاق والوقوف على

سنن الله في ذلك.[19]

ونرى أن التفسير العلمي جائز بناء على الأدلة التي ساقها المؤيدون لذلك، ولأننا شهدنا ولا زلنا وسنبقى نشهد من الحقائق العلمية التي سبق بها القرآن مما يؤكد إعجازه في هذا الجانب وليس هناك ما يمنع إظهار هذه الحقائق من خلال القرآن الكريم لأن هذا الأمر يخدم الدعوة وكم من علماء الغرب وغيره من غير المسلمين قد أعلنوا إسلامهم بعد موافقة تلك الحقائق للقرآن الكريم، وأن القرآن سبقهم إليها.[20] ويتكون هذا البحث من أربعة مطالب هي: علم الفلك، وعلم البحار، وعلم النبات، وعلم الطب والأجنة.

[19] انظر :التفسير والمفسرون ج :٢ ص ٣٦١، وانظر :معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي ج :١ ص ٨٩ . مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ١٩٨٨ م، وانظر:إعجاز القرآن الكريم د .عصام زهد ص 93.

[20] منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، ص 185، 1432 هـ - 2011 م.

المطلب الأول : علم الفلك

لقد خلق الله هذا الكون الفسيح بما فيه من مخلوقات منها الأرض والسموات والشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحاب، فهو بمثابة الكتاب المفتوح الذي يقرأه **كل من** ه بعين العقل والفكر والوجدان، وقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم عن هذه المخلوقات وبينت حقائق علمية لو علمها علماء الفلك والدارسون لعلمه ما وسعهم إلا أن يعلنوا إسلامهم إذ إن القرآن الكريم قد سبقهم لما اكتشفوه قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان، ولم يتيسر ذلك الكشف لهم إلا بعد جهد طويل. ومن هذه الآيات قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْودق يخرج من خلاله وينزل من السَّماءِ من جبالٍ فيها من بردٍ فيصيب به من يشاء صَرْفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ **(النور:** ٤٣) وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ ارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ **تَبَارَكَ** ةُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (**الاعراف:** ٥)، وقوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَموسِعونَ) (اريات: ٤٧).[21]

موقف الآلوسي من الفلك ستطرد الإمام الآلوسي كثيرا في تفسيره للآيات التي تتحدث عن الكون بشكل عام، فهو يتحدث عنه أكثر من غيره من الأمور العلمية الأخرى في القرآن الكريم وهذا ما تحدث عنه كل من سبق له التعرف على تفسيره.[22] **وسنتعرف** على منهجه في الفلك في القرآن الكريم من خلال نماذج معينه من تفسيره.

النموذج الأول: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (**يس:** ٣٨) حيث يقول:(تجري) تمر مرّا سريعا وفي الآية رد **على** قائلين بأن الشمس ساكنة وهي مركز العالم والكواكب والأرض كرات دائرة عليها، ثم

[21] انظر :المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص ٤٧٢- ٤٧٦ ، وانظر :الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د .عبد السلام اللوح ص ١٦٧-182.

[22] انظر :التفسير والمفسرون للذهبي ج :١ ص ٢٥٤ ، وانظر :الآلوسي مفسرا ص 310.

يتحدث عن قوله تعالى:(لمستقر لها) بقوله: لحد معين تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة، وقيل إلى وقت لا يتعداه. قال الشيخ ابن عاشور: وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بـ"تحت العرش" وهو سمت معيّن لا قبل للناس بمعرفته، وهو تهى مسافة سيرها اليومي، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من ، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها نقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي. وكلام النبي صلى يه سلم بأنها تسجد تحت العرش وتستأذن ربها تمثيل لحال الغروب والشروق اليوميين. وجعل سجود الشمس تمثيلاً لتسخير الله إياها.[23]

وقال الدكتور وهبة الزحيلي[24] أن قوله تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) دليل **على** دوران الشمس في فلكها لنهاية مدارها وهناك قولان للمفسرين في تفسير المستقر; الأول: أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي وجميع المخلوقات تحت العرش. والثاني: أن المراد مستقرها الزماني وهو منتهى سيرها، وهو يوم ة، وقد أثبت علماء الفلك أنه زيادة على دوران الشمس الظاهري وسط النجوم بسبب دوران الأرض حول الشمس مرة في السنة، للشمس حركتان أخريان : دورة حول محورها مرة في كل ست وعشرين يوما تقريبا، ودورة **مع توابعها من الكواكب السيارة حول مركز النظام النجومي بسرعة** تقدر بنحو مائتي ميل في الثانية. والمستقر في رأي العلماء في الحالة الأولى: هو المحور الثابت، وفي الثانية: هو مركز النظام النجومي بأسره.[25]

---

[23] انظر :تفسير ابن عاشور ج :٢٣ ص ٢٠.

[24] هو وهبة بن مصطفى الزحيلي ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام ١٩٣٢ م، وكان والده حافظاً للقرآن الكريم عاملاً بحزم به، محباً للسنة النبوية، مزارعاً تاجراً .درس في الكلية الشرعية بدمشق وكان ترتيبه الامتياز الأول عام ١٩٥٢ م، حصل على الإجازة العالية من الأزهر والعديد من الشهادات العلمية، عمل مدرسا في جامعة دمشق وله العديد من المؤلفات منها التفسير المنير، والفقه الإسلامي وأدلته، والوسيط في أصول الفقه الإسلامي وغيرها الكثير .نسأل الله له طول العمر وصلاح العمل .انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين .المكتبة الشاملة – الحاسوب– الكتاب ألكتروني غير مطبوع.

[25] انظر :التفسير المنير للزحيلي ج :٢٣ ص 15-16

للعلم نجد أن المعتقد قديما أن الشمس ثابتة لا تتحرك بل إن من قال خلاف ذلك من بعض علماء المسيحيين حكمت عليهم الكنيسة بالإعدام على اعتبار أن قولهم هذا كفر، وآخر ما توصل إليه العلم الحديث أن الشمس تجري بحركة دورية بية نحو نجمة تدعى بالنجم الواقع.[26] وقد أوضحت الدراسات الفلكية خاصة ما توصلت إليه (وكالة ناسا -NASA- الأمريكية للفضاء) أن المجموعة الشمسية بأسرها في حركتها حول المجرة تتجه إلى نقطة ثابتة تسمى المستقر"Apex of solar system" وعند ملاحظة حركة الشمس نجد أنها تقترب من نجم ثابت. وهي تقع إلى الجنوب من النجم فيجا "النسر الواقع" قرب كوكبة الجاثي "هرقل".[27] ولم يجد العلماء تفسيرا لهذه النقطة الثابتة إلا بكلمة المستقر. فسبحان القدير العزيز العليم الذي قال (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس: ٣٨).

أن الإمام الآلوسي قد أصاب حينما تحدث عن جريان الشمس وعدم وقفها، وأنه قد أصاب حينما اجتهد فيما ذكرناه عنه بالنسبة لمستقر الشمس بل إنه حاول أن يصل إلى أقصى ما يستطيع عالم مثله الوصول إليه من مواكبة الاكتشافات العلمية التي لا تتعارض مع القرآن والسنة الصحيحة، ولو أنه علم ما توصلت إليه (وكالة ناسا الأمريكية) من معلومات بالنسبة لمستقر الشمس لما أنكر عليهم بل سيفرح كثيرا بهذا الاكتشاف الرائع الذي يثبت إعجاز القرآن في كل زمان ومكان، ونري أيضا أنه لا تعارض بين هذه الاكتشافات وبين هذه الآية الكريمة والأحاديث التي ذكرت سجود شمس تحت العرش لأنها تسجد تحت العرش وتستأذن ربها تمثل لحال الغروب والشروق اليوميين. وجعل سجود الشمس تمثيلاً لتسخر لتسخير الله إياها، أما المستقر الذي حدث عنه الاكتشافات الحديثة فهو نهاية الكون.[28] والإمام الآلوسي حينئذ عاش في

[26] انظر :الإعجاز العلمي في القرآن د .عبد السلام اللوح ص ١٧٠ ، وانظر :إعجاز القرآن الكريم د .فضل عباس، و أ .سناء عباس ص ٢٨٤-285.

[27] لمزيد من المعلومات انظر :الشبكة العنكبوتية **http://www.physicsforums.com/blog.php?b=21**

[28] منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، ص 195، 1432 هـ -2011 م.

زمن لم توجد الأدوات المتاحة لمعرفة أجسام السماوية ولكنه قد أصاب حينما اجتهد وهذا الفضل من الله يعطيه من يشاء، والله تعالى أعلم.

النموذج الثاني: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام: ٩٧) **حيث يقول:**

جوم كلها ما عدا الشمس والقمر لأنها التي بها الاهتداء المذكور في الآية، ولأن لفظ يخصها دونهما، ويجوز أن يدخلا فيها لبيان فائدتهما العامة بعد أن بين فائدتهما الخاصة، ثم يتحدث عن تقسيم النجوم لثوابت وسيارة وعن عددها حسب تقسيم المنجمين، ويقول: لا يكاد يسلم لهم فيها إلا ما لم يلزم منه محذور في الدين، **وهي من** ، الاهتداء بها في ظلام الليل في البر والبحر، وهي في جميع ما يترتب عليها كسائر لأسباب العادية لا تأثير لها بأنفسها ولا بأس في تعلم علم النجوم ومعرفة البروج والمنازل والأوضاع ونحو ذلك مما يتوصل به إلى مصلحة دينية، وينقل قول العلماء: أن المنهي عنه **من** علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء طر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها ، وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره فمن **ادعى علمه بذلك فهو** فاسق بل ربما يؤدي به إلى الكفر، فأما من يقول: إن الاقتران أو الافتراق الذي هو كذا جعله الله تعالى علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف فلا إثم عليه بذلك، وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من **علم النجوم الذي يعلم به الزوال وجهة** القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فإنه لا إثم **فيه بل هو فرض كفاية.**

ويورد حديث النبي صلى الله عليه سلم : " عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر ماء- **أي مطر- كان من الليل فلما انصرف أقبل علينا فقال: هل تدرون ماذا قال** ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من

قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب" [29]. وأن العلماء يحملونه على من قال ذلك مريدا أن النوء هو المحدث، أما من قال ذلك على معنى أن النوء علامة على نزول المطر ومنزله هو الله تعالى وحده فلا يكفر لكن يكره له قول ذلك لأنه من ألفاظ الكفر. ثم يتحدث عن تعلم علم النجوم فيقول: هو علم لا ينفع والجهل به لا يضر فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن.[30]

ونرى أن الإمام الآلوسي يحافظ على سلامة عقيدته تماما من خلال عرضه وضوع النجوم وتأثيرها بأمر الله تعالى وأنه لا تأثير لها بنفسها، كما قال في كتابه " ولا يبعد ان يكون ذلك من الاسباب العادية وهي قد تتخلف مسبباتها عنها سواء قلنا: إن التأثير عندها كما هو المشهور عن الأشاعرة أم قلنا: إنها المؤثرة بإذن الله تعالى كما هو المنصور عند السلف، ويشير إليه كلام حجة الإسلام الغزالي في العلة. فمتى أخبر المجرب عن شيء من ذلك على هذا الوجه لم يكن عليه بأس".[31] وأن الذي يقوله هو الصواب لأن كل ما يستدل علماء النجوم من خلال دراستهم لظواهر معينة إنما هو ضمن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى لهذا قد يخطئ أصحاب النجوم وقد يصيبون، وكم من مرة أعلنوا عن توقعهم بنزول المطر وما نزل، علما بأن من عمل في هذا المجال ليس عليه إثم إذا اد الأمر لله سبحانه وتعالى وليس للنجوم أو الظواهر الطبيعية ها لأنها في الأصل خلق من خلق الله إن شاء اجرى فيها ما اعتاد الناس منها وإن شاء لم يجر من ذلك شيئا إذ الأمر له من قبل ومن بعد سبحانه وتعالى عما يشركون.

المطلب الثاني: علم البحار

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البحر وسخره بكل ما فيه للإنسان كما قال في كتابه العزيز: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً

[29] صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، من حديث زيد بن خالد الجهني، مجلد ١ ج :١ ص ١٦٩
رقم الحديث: 846.

[30] انظر :روح المعاني مجلد ٤ ج :٧ ص 606-608.

[31] تفسير الآلوسي = روح المعاني (4/ 222)

تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل: ١٤)

معروف أن البحار والمحيطات تبلغ مساحتها نحو ثلاثة أرباع الأرض وأن مياه هذه البحار والمحيطات تحمل السفن وتخرج لنا الطعام والحلي، والعلم الحديث لا زال كل يوم **يكتشف أشياء جديدة تنبهر معها عقول العلماء** ثم يجدوا أن كل ما يكتشفونه قد م القرآن إليه، فالآيات التي تتحدث عن البحار وعظمتها وما فيها وما سيتطور على الفلك التي تجري فيها كثيرة في كتاب الله. وأن من المفسرين من كان مكثرا في لحديث عن هذه الآيات وأن منهم من كان مقلا.[32]

موقف الآلوسي من علم البحار: ض الإمام الآلوسي لآيات البحار في القرآن وسنكتفي بذكر نماذج معينة من ذلك في تفسيره.

النموذج الأول: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وترى الْفُلْك فِيهِ مواخِر لِتبتغوا مِن فضلِهِ ولَعلَّكُم تشكُرون) (**فاطر: ١٢**) **حيث يقول:** نفضل الله سبحانه وتعالى بنعمه الكثيرة علينا وهذه المرة نعم متعلقة بالبحر ومنه العذب **الفرات** المستعذب بشربه ومنه الملح الأجاج لا يستساغ شربه، وكل منهما لازم لمصالح معينة للعباد وضرورة الملح حتى لا تفسد مياهه من أي كائن يموت فيه وغير ذلك، ومن هذه النعم الركوب والغوص والصيد، واللحم الطري هو السمك سمي بذلك لقلة عظامه وضعفها وللتنبيه على لطافته، وللإشارة إلى سرعة تلفه، واستخراج الحلية التي هي للزينة كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك، والفلك التي هي السفن مواخر تشق الماء شقا لتسير فيه وكل هذا لنبتغي من فضل الله ونشكره على نعمه وآلائه.[33] وممن قال بذلك من المفسرين كلٌ من الأئمة الطبري[34] **، والبقاعي**[35]، والشوكاني.[36]

---

[32] انظر :الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د .عبد السلام حمدان اللوح ص ٢٠٩-121.

[33] انظر :روح المعاني مجلد ١١ ج :٢٢ ص 735-737.

[34] انظر :تفسير الطبري ج :٢٠ ص 49٤

[35] انظر نظم الدرر للبقاعي ج :٦ ص ٢٠٧-210

[36] انظر :فتح القدير للشوكاني ص ١٢08

النموذج الثاني: ما قاله عند قوله تعالى: (﴿ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الشورى: ٣٢ ك يقول: ومن آيات الله تعالى السفن الجارية في البحر كالأعلام والأعلام هي جمع علم وهو الجبل.[37] وعند تفسيره لقوله تعالى: (ولَه الْجوارِ الْمنشآت فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) (الرحمن: ٢٤) **حيث يقول: السفن المنشئات أي مرفوعات الشرع ويرفض أن يكون معناها المرفوعات على الماء، أو المصنوعات.**[38] وتشبيه السفن بالجبال إشارة واضحة إلى ما سيكون من تقدم في علوم القوى التي لا بد منها لدفع تلك السفن التي كالجبال بالإضافة لوسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء جريانها في البحر، وكذلك **هندسة السفن وصناعتها.**[39]

المطلب الثالث: علم النبات

لقد خلق الله الإنسان وخلق له ما يلزم لاستمرار حياته على هذه الأرض من طعام وشراب وملبس ودواء، وما من طعام يطعمه الإنسان إلا وهو من نتاج **الأرض** باتات وثمار الأشجار أو تغذى عليها كالحيوانات والأسماك التي تتغذى أيضا على الطحالب التي تنبت في مياه البحار وغيرها، ولقد لفت القرآن الكريم نظر الإنسان لهذه الحقيقة بقوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنبا وقضبا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وحدائق غُلْبا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32) (**عبس: ٢٤-32**).[40] **ولفت القرآن** نظر الإنسان إلى أن الإنسان يحرث الأرض ويلقي الحب ، الله سبحانه وتعالى وذلك كما أخبرنا الله في كتابه: (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون) (**الواقعة**: ٦٤ فالله سبحانه هو الذي ينبت النبات كما في قوله: (وَهُوَ الَّذِي

[37] انظر :روح المعاني مجلد ١١ ج :٢٥ ص ٦٠١

[38] المرجع السابق مجلد ١٣ ج :٢٧ ص 428.

[39] انظر :الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د .عبد السلام اللوح ص ٢١٠

[40] انظر :الإعجاز العلمي في القرآن د .عبد السلام اللوح ص 201.

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِها قِنوانٌ دانيةٌ وجنَّاتٍ مِن أَعنابٍ والزَّيتون والرُّمَّان مشتبِها وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: ٩٩ وأن الله سبحانه جعل الرياح مخصبا من أجل التكاثر بين هذه الأزواج النباتية وقد خبرنا بذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لواقِح فأَنزلْنا مِن السَّماءِ ماء فَأَسقيناكموه وما أَنتم له بخازِنين) (الحجر:22 وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن النبات في القرآن وتبين إعجازا فيه.

موقف الآلوسي من علم النبات:

يتحدث الإمام الآلوسي في تفسيره كثيرا عن النباتات والأشجار وإنباتها وثمارها. وسوف نتعرف على ذلك لال نماذج من تفسيره لبعض آيات النبات في القرآن الكريم.

النموذج الأول: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد:٤) حيث يقول: قطع من بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف فمنها الطينية المنبتة والسبخة التي لا تنبت والرخوة والصلبة والصالحة للزرع والصالحة للشجر وهي متلاصقة إلا أن أجزائها تتفاوت حيث ينبت فيها بساتين نيرة من الأعناب والزرع والنخيل المجتمع من أصل نخلة واحدة والمتفرق وجميعه يسقى بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان ماء المطر أو العيون أو غير ذلك إلا أننا نجد التفاوت والاختلاف في اللون والشكل والتفاضل في الطعم ليس بين العنب والنخيل لزرع فحسب بل بين ثمار النخلة الواحدة سواء كانت ممن اجتمعت عليها بنياتها أو كانت لوحدها فجذورها في أرض واحدة وشمسها واحدة وهوائها واحد وشربت من ماء

د كل أليس هذا دليلاً قاطعاً على عدم تأثير الطبيعة في الاختلاف الحاصل بين ثمارها وإنما هي قدرة الله وحكمته.[41]

علماء النبات أن جذور النباتات تمتد في التربة لتمتص الغذاء من عناصرها الملائمة لها وتحولها إلى ثمار تتميز عن بعضها في الشكل والطعم والرائحة وهذا يبين أن الله سبحانه وتعالى قدر لهذه التربة أن تشمل في تكوينها المواد المعدنية والعضوية والبكتيرية المختلفة، ومع توحد الماء الذي سقيت به إلا أن الاختلاف بين ثمارها **حاصل.**[42] وهذه الآية تحمل دعوة لدراسة خصائص كل نبات وطبيعة معاملاته ومعدلات احتياجاته وظروفه المناخية ومواعيد زراعته وأنواع السماد الذي يحتاجه وغير لك من الدراسات التي تنهض بالزراعة وتطورها.[43] **ونرى أن الإمام الآلوسي يلفت** ارنا إلى أمر هو من صميم العقيدة وهو الرد على الطبيعيين الذين يقولون إن الطبيعة خلقت الكون، وكأنه عايش ظهور الملاحدة في العصر الحديث الذين كانوا يقولون إن **الحياة مادة** أي أنه ليس هناك خالق لها إنما الظروف المادية والطبيعية هي التي تتحكم فيها، وهو رد موفق فجزاه الله عنا خير الجزاء. إذ لو كانت الطبيعة هي التي خلقت لجاءت كل ثمار الأشجار واحدة على نسق واحد تماما الأرض الواحدة والشمس والماء **الواحد.**[44]

النموذج الثاني: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ **(المؤمنون: ٢٠) حيث يقول: الحديث عن شجرة الزيتون** حها لتلبسها بالدهن الذي هو عصارة كل ما فيه دسم وهو هنا الزيت، وكذلك صبغ فهي تنبت بالشيء الجامع **بين كون هذا الدهن دهنا يدهن به ويسرح به وكونه** إداماً يصبغ فيه الخبز فهو يلون به عند غمسه فيه وقد أكله النبي صلى الله عليه سلم وقد

[41] انظر :روح المعاني مجلد ٧ ج :١٣ ص 492-495.

[42] انظر :الإعجاز العلمي في القرآن د .عبد السلام اللوح ص 302-303.

[43] دنيا الزراعة والنبات عبد الرزاق نوفل ص 65

[44] منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، ص 199، 1432 هـ -2011 م.

ورد عنه قوله صلى الله عليه سلم : "كُلُوا الزَّيْت وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ". [45] أما العلم الحديث فقد كشف أن الصبغ يكون لجلد من أكل هذا الزيت ليوفر له حماية من الشمس وبعض الأمراض التي تصيبه، وقد سبق ابن عباس رضي الله عنهما العلم الحديث بقوله: " إن في كلمة (صبغ للآكلين) ما يدل على اختلاف ألوان الآكلين."[46] وقد ذكر قول ابن عباس الإمام الطبري.[47]

النموذج الثالث: ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (**الحجر:** ٢٢)[48] حيث يقول: واللواقح جمع لاقح بمعنى حامل، وقيل بمعنى ملاقح يعني ملقحات السحاب **أو الشجر وهي على** سحاب حقيقة وعلى الأشجار مجازا لأن الذي يلقح الأشجار السحاب لا الرياح.[49] ولأن الآية لم يرد فيها ذكر للنبات كان ما قاله المفسرون هو الأقرب للصواب من أن تلقح السحاب، ومع ذلك فقد استشهد بها كثير من العلماء على تلقيح الرياح **للنبات لانه** لعروف أن الرياح تقوم بدور فعال في نقل مادة اللقاح من الذكر إلى ى وهو أمر ثابت بين علميا بين كثير من النباتات، ومن مثله ما يشاهد في غابات الصنوبر من غيم كأنه عاصفة رملية وما هي إلا حبوب اللقاح التي يحملها الهواء إلى حيث يتم إخصاب النبات.[50]

ونرى أن الإمام الآلوسي عندما أورد قول من قال: إن اللواقح بمعنى ملقحات للسحاب أو الشجر كاد أن يصل إلى الاكتشاف العلمي الحديث لولا أنه رحمه الله حمل تلقيحها للأشجار على المجاز لأن الرياح تلقح السحاب و السحاب يلقح الشجر، علما

[45] سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج :ص ٤٢٩ ، رقم الحديث ١٨٥١.

[46] انظر :إعجاز النبات في القرآن الكريم د .نظمي خليل أبو العطا ص ٨٩-93.

[47] انظر :تفسير الطبري ج :١٩ ص 24.

[48] انظر :إعجاز النبات في القرآن الكريم د .نظمي خليل أبو العطا ص 73-84، مكتبة النور شارع الأهرام.

[49] انظر :روح المعاني مجلد ٨ ج :١٤ ص 24-43

[50] انظر :إعجاز النبات في القرآن د .أبو العطا ص 81-84، وانظر :الإعجاز العلمي في القرآن د .عبد السلام اللوح ص ٢٠٤

ن تفسيره كما قال: المعاصرون من العلماء **هو الأقرب للصواب لأن الآية ليس فيها** كر للنبات. وتلقيح الرياح للنباتات والأشجار أمر معروف لدى المزارعين وهم يقومون ير من الأحيان بالاعتماد عليه ونرى أن الكثير منهم يقوم بزراعة الأشجار التي نصف بالذكورة بين الأشجار التي تتصف بالأنوثة من أجل أن يتم التلقيح بينها بواسطة الريح وهذا أمر شائع بين المزارعين.[51]

المطلب الرابع: علم الطب والأجنة

لقد خلق الله الإنسان من سلالة من طين، قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا **آخَرَ** تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (**المؤمنون**: ١٢ –14) وقوله تعالى: (ثُمَّ جعل نسله مِنْ سُلَالَةٍ مِن ماءٍ مهِينٍ) (**سجدة**: ٨)

ن لنا من خلال هذه الآيات الكريمة كيف خلق الله الإنسان بعد الطين من نطفة وهي الحيوان المنوي التي تستقر في رحم الأم الذي هو القرار المكين ثم يتحول بعد ذلك إلى علقة وهذا يكون بعد فترة زمنية من النطفة ثم تكون المضغة التي يخلقها الله عظاما ثم يكسوها لحما حتى يتم خلق الجنين الذي يخرج بعد ذلك طفلا يختلف عما ان عليه وهو جنين. والآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان ومراحله كثيرة في القرآن الكريم. أما من السنة فقوله صلى الله عليه سلم: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح...الحديث.[52] ولكن هذا الإنسان عرضة للأمراض التي هي

---

[51] منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، ص 200، 1432 هـ -2011 م.

[52] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ج :٨ ص ٤٤ رقم الحديث ٦٨٩٣

وانظر: القرآن والطب د. الحاج محمد وصفي ص 17-25. دار الكتب الحديثة، القاهرة-ط1، 1380 ه -1960م، وانظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص 365-395. الدار السعودية للنشر والتوزيع ط 5، 1404 ه – 1983 م.

بحاجة إلى علاج وتداوي يقوم به متخصصون في الطب، وقد (حث الإسلام على هذا التداوي كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه سلم "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء".[53]

موقف الآلوسي من الطب والأجنة: فإن الإمام الآلوسي لم يتطرق لذكر التفسير العلمي بسم، أو التفسير الطبي، ولكنه يظهر ذلك عند تفسيره للآيات التي لها علاقة بالطب وغيره من العلوم وسنرى ذلك من خلال نماذج آتية.

النموذج الأول: حديثه عن الطب: وذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ **(الأعراف:** ٣١) فهو يقول بعد أن يتحدث عن الإسراف: إن النبي قال: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة"[54] ، ابن عباس ﷺ: (كل ما شئت والبس (واشرب) ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة.[55]

وهنا نرى أن الإمام الآلوسي ذكر أن هذه الآية جامعة للطب، وقد ذكر ذلك كثير من الأطباء الذين كتبوا في الطب وغيرهم من كتبوا في إعجاز القرآن، من ذلك قولهم" والأمر بعدم الإسراف في الطعام والشراب لهو كذلك من وسائل الوقاية مما يترتب النهم من أضرار تلحق بالإنسان وإن هذا الأمر هو قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّه لا يُحِبَّ الْمسرِفِين **(الاعراف:** ٣١). ومن ذلك أن هذه الآية تعتبر أساسا **لحياة الإنسان ودستورا صحيا** لمعيشته، فقد حوت ما يحفظ على الإنسان حياته وصحته وشبابه في ألفاظ قليلة جمعت علما وطبا يربوا على ما كتب في عشرات الكتب.[56]

---

[53] صحيح البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مجلد٧ج :٧ ص١٢٢،كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم الحديث ٥٦٧٨

[54] سنن ابن ماجة، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف، أو مخيلة، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم، ج :٤ ص ٦٠٠ ، رقم الحديث :٦٣٠٥ .

[55] صحيح البخاري مجلد ٧ ج :٧ ص ١٤٠ . باب قول الله تعالى] :قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده[.

[56] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د .عبد السلام حمدان اللوح ص ٢٢١ ، آفاق للطباعة والنشر -غزة ط 1 1419 هـ - 1999م.

وعند العودة لكتب التفسير نجد أن بعضهم يتطرق لما في هذه الآية من أمر الطب مثل الأئمة ابن عادل[57]، و النسفي[58]، والزمخشري[59] حيث يوردون قول ابن عباس و قول علي بن الحسين بن واقد السابقين، والشيخ أبو بكر الجزائري الذي يقول:

ذه الآية الكريمة أصل من أصول الدواء، إذ أمرت بالأكل والشرب وهما قوام الحياة وحرمت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الامراض إذ قال رسول الله صلى الله عليه سلم: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه."[60] ويورد بعد ذلك قول علي بن الحسن، أقوالا أخرى تبين ارتباط الآية بالطب.[61] أما الشيخ السعدي فيذكر أن الإسراف فيه ضرر على البدن.[62] ومن المعلوم أن ما قاله الشيخ السعدي هو من أهم أساسات الطب. أما الإمام أبو حيان، فيذكر قول علي بن الحسن.[63] وكذلك فعل الإمام ابن كثير

يث ذكر رواية ابن عباس رضي الله عنهما وروايات وأحاديث أخرى تبين مدى ارتباط هذه الآية بالطب.[64] لم يقتصر اهتمام الإمام الآلوسي بالطب في القرآن على هذه الأية

اول ذلك عند غيرها من الآيات مثل آيات التي تتحدث عن الخمر ولحم الخنزير وعسل النحل. أما أكثرهم حديثا عن الطب في هذه الآية فهو الدكتور وهبة الزحيلي فهو يورد كل ما مر معنا ويضيف عليه أشياء أخرى.[65]

---

[57] انظر :تفسير ابن عادل ج :٩ ص ٨٨

[58] انظر تفسير النسفي ج :٢ ص ٤٦

[59] انظر :تفسير الزمخشري ج :٢ ص ٤٣٨

[60] الحديث ورد روايات مختلفة عند أصحاب السنن، انظر :سنن الترمذي، كتاب الزهد، ما جاء في كراهية كثرة الأكل، من حديث المقداد بن معدي كرب، ج :٤ ص ١٨٨ ، باب :رقم الحديث ٢٣٨٠ .

[61] انظر :تفسير الجزائري ج :٢ ص 165

[62] انظر :تفسير السعدي ص ٢86

[63] انظر :تفسير ابن كثير ج :٥ ص ٤63

[64] انظر :تفسير أبي حيان ج :٤ ص ٢٩٢

[65] انظر: التفسير المنير للزحيلي ج 8 ص 180-187.

النموذج الثاني: أنه يتحدث عن خلق الإنسان في رحم أمه وأطوار ذلك المخلوق الذي جنينا في كثير من الآيات التي تتحدث عن هذا الأمر. من ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى حيث يقول: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (المؤمنون: ١٢-14).

إن الله تعالى جعل النطفة في الرحم الذي هو القرار المكين محرزة مصونة ثم خلقها دما جامدا وهي العلقة ثم خلقها قطعة لحم وهي المضغة وسميت بذلك لأنها بقدر ما يمضغ ثم خلقها أو بعضها عظاما ثم كساها الخالق لحما وذلك اللحم يحتمل أن يكون من لحم المضغة بأن لم تجعل كلها عظاماً بل بعضها ويبقى البعض فيمد على العظام حتى يسترها، ويحتمل أن يكون لحماً آخر خلقه الله تعالى على العظام من دم في الرحم.[66] **وعند** تفسيره لقوله تعالى (...يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاث...) الآية(الزمر:6)**حيث يقول:** إن الظلمات الثلاث والتي خلق الله فيها هذا ن هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة، مع أنه يقول: وقد قيل إنها الصلب والبطن والرحم إلا أنه لا يعقب على هذا القول إنما يورده بصيغة التضعيف "قيل".[67]

لقد رأينا أن الإمام الآلوسي يقول إن القرار المكين هو الرحم، وأنه بمثابة الحرز للنطفة وما تلاها من مراحل خلق الإنسان وهذا ما يقوله الطب أيضا من أن الرحم هو القرار المكين وأنه استحق هذا اللقب لما له من مواصفات وامتيازات منها أنه يوفر حماية مشددة في أشهر الحمل الأولى، وأن الرحم أشبه ما يكون بجسر معلق بأربطة وأنه غير ت بل يتحرك يمينا وشمالا وأعلى وأسفل وأن هذا الرحم يكبر ويصغر حسب حاجة الجنين لذلك، وغير ذلك من الأمور إلا أن هذا القرار ينهار في لحظة معينة ألا وهي

[66] انظر :روح المعاني مجلد ١٠ ج :١٨ ص 20-22.

[67] المرجع السابق مجلد ١٢ ج :٢٣ ص ٣٣٥.

ساعة ولادة هذا الجنين الذي يطلق عليه حينها اسم **جديد وهو الطفل.**[68] **كما أن الإمام** الآلوسي ذكر لنا أن الظلمات الثلاث هي البطن والرحم والمشيمة، وهذا ما أكده الطب **الحديث مبينا لنا أن ظلمة المشيمة تتكون من ثلاثة أغشية هي الغشاء السلي، وغشاء الكوريون، والغشاء الساقط.**[69] وقد فسر عدد من المفسرين الظلمات الثلاث كما **فسرها** الإمام الآلوسي.[70]

خلاصة البحث:

1. م الإمام الآلوسي بتفسير الآيات التي لها علاقة بالعلم ونجده يخرج عن إطار التفسير التقليدي للآيات ويسير بها إلى التفسير العلمي.
2. ده أحيانا يوافق تماما ما وصل إليه العلم الحديث، وأحيانا يقترب منه في تقرير **حقائق معينة،** يبقى بعيدا عنه لأن الأمر مخفي عنه وعن أمثاله من **المفسرين خاصة من سبقه منهم.**
3. وهو يكثر في بعض الأمور العلمية من الحديث أكثر من بعضها الآخر كما هو شأنه في علم الفلك فهو يكثر الحديث فيه أكثر من غيره من العلوم، ومع ذلك فإنه لا يترك علما دون الحديث فيه.
4. نده أحيانا يخالف ما قاله بعض العلماء لأن قولهم يخالف الحديث الصحيح فهو يقدم الصحيح على قول العلماء. وهو معذور في ذلك لأنه يخشى أن تكون أقوالهم غير صحيحة خاصة أنه حدث وقد تراجع العلم عن بعض الأمور التي **قررها مسبقا.**[71]

---

[68] انظر :الطب محراب الإيمان د .خالص حلبي ج :٢ ص ٢٤١ ٢٥١ . دار الكتب العربية – بيروت، دمشق -ط ١ - ١٣٩٤ه- 1973م.

[69] انظر :خلق الإنسان بين الطب والإيمان د .محمد البار ص 421-430.

[70] انظر تفسير الطبري ج 21 ص 258-259، وانظر تفسير القرطبي ج 15 ص 236، وانظر تفسير الخازن ج 6 ص 68، وانظر تفسير ابن كثير ج 12 ص 114.

[71] منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، ص 202، 1432 هـ -2011 م.

المراجع

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي. الرياض - ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦ م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة – بيروت.
- إعجاز القرآن الكريم د. عصام العبد زهد، 1427ه – 2007 م.
- إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس،أ. سناء فضل عباس، الأردن- عمان- ١٤١٢ ه- ١٩٩١ م،
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الخامسة أيار مايو ١٩٨٠، عدد الأجزاء :٨.
- البرهان فى علوم القرآن. بن بهادر الزركشى، دار المعرفة، بيروت. لبنان (1991م) تحقيق مُحَمَّد أبو
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر ،دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418هـ، عدد الأجزاء : 30
- التفسير والمفسرون، مُحَمَّد حسين الذهبى، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، ط2 (1976م). مناهل
- التفسير ومناهج المفسرين د. جمال محمود الهوبي، د. عصام العبد زهد مطبعة المقداد- غزة –ط ٢،١٤١٩ ه- 1999 م.
- دنيا الزراعة والنبات وما فيها من ات .عبد الرزاق نوفل، ط 1، 1986 م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الآلوسي أبو الفضل، الناشر :دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء :٣٠.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء : ٥.
الفضل إبراهيم. بيروت، ١٤٠٥، تحقيق :مُحَمَّد الصادق قمحاوي.
- معجزة القرآن، مُحَمَّد متولي الشعراوي ج :١ ص ٨٩ . مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ١٩٨٨ م
- مفاتيح الغيب للفخر الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١ ٥.
- منهج الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - رسالة الماجستير، عبد الله ربيع جنيد، 1432 هـ -2011 م
- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق :أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان ط1، 1417-1997م.